وحي الأنبياء

الدكتور عمر الملا حويش

المدرس فى قسم اللغة العربية

الوحي فى اللغة :

يقال وحيت الى فلان أحي اليه وحيا اذا أشرت اليه وأومأت ، قال العجاج :

الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمأنت
باذنه الارض وما تعتت وحى لها القرار فاستقرت(١)

أي وحى الله الارض بأن تقرّ قرارا فلا تميد بأهلها ، أي أشار اليها ، أو أمرها بذلك(٢) .

ويقال وحى لها القرار أي كتب لها القرار ، ويقال وحيت الكتاب أحيه وحيا أي كتبته ، قال لبيد :

فمدافع الريان عرق رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها(٣)

يقول ابن الانباري فى شرحه لهذا البيت : والوحي جمع وحى وهو الكتاب .. يقال وحيت أحي وحيا اذا كتبت ... قا الشاعر :

فأهداها لاعجمي طمطمّي كوحي صحائف فى عهد كسرى

وقال جرير :

---

(١) ديوان العجاج ص : ٥
(٢) تهذيب اللغة للازهري ج ٥ ص ٢٩٦ وما بعدها .
(٣) شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الانباري ص : ٥١٩ .

كأن اخا اليهود يخط وحيا بكاف فى منازلها ولام[٤]

وينقل الازهري فى تهذيبه عن ثعلب عن ابن الاعرابي قوله : أوحى الرجل اذا بعث برجل ثقة الى عبد من عبيده ثقة ، وأوحى ايضا اذا كلّم عبده بلا رسول .

ويضيف الازهري ايضا عن ابي اسحاق قوله :

وأصل الوحي فى اللغة كلها اعلام فى خفاء ، ولذلك صار الالمام يسمى وحيا[٥] .

من هذه المقدمة اللغوية يتبين لنا ان لفظة الوحي فى أصل اللغة تعني الاعلام فى خفاء مع تضمن السرعة والاستعجال ، كما تعطي ايضا معنى الكتابة والرسالة وكل ما القي الى الغير ، والالمام والالهام والاشارة .

اما ماورد فى تهذيب اللغة عن ابن الاعرابي من تفسير للفظة الوحي فأرى ان ابن الاعرابي لم يبتعد فى تفسيره هذا عن الاصل اللغوي لهذه اللفظة وربما تأثر بالوحي الآلهي للانبياء فهو فى تفسيره هذا أقرب الى المعنى الاصطلاحي للوحي منه الى المعنى اللغوي ، ذلك المعنى الذي صارت به لفظة الوحي علما للوحي الآلهي للانبياء ، وكل ما يتلقاه النبي من الله سبحانه وتعالى .

الوحي فى القرآن الكريم

لقد تكررت لفظة الوحي كثيرا فى القرآن فى مواضع متعددة وفى مناسبات مختلفة ، ولكنها فى كل استعمالاتها لا تكاد تخرج فى مدلولها عن المعاني اللغوية التي تضمنتها والتي أشرنا اليها قبل قليل .

---

(٤) ديوان جرير ، ص : ٤٩٨ .

(٥) تهذيب اللغة للازهري ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس وأساس البلاغة للزمخشري .

ففى قوله تعالى : « واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون »[٦] وقو له تعالى « وأوحينا الى ام موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين »[٧] فان معنى لفظة الوحي فى هاتين الآيتين هو الالقاء فى القلب أو الالهام [٨] .

وفى قوله تعالى : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوه بكرة وعشيا »[٩] . وهنا يختلف المفسرون فى تفسير لفظة الوحي ، يقول الفراء : (فأوحى اليهم) أي أشار اليهم ، والعرب تقول : أوحى اليَّ ووحى وأومأ وهي بمعنى واحد[١٠] . ووافقه الطبري فى هـذا التفسير ، ولكنه لم يكتف به ، وانما أورد روايات تشير الى معاني اخرى فاضافة الى ما ذكره الفراء . يقول الطبري :

« فأوحى اليهم » أشار اليهم ، وقد تكون تلك الاشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك .

واختلف أهـل التأويل فى المعنى الـذي بـه أوحى الى قـومـه ، فقال بعضهم : « أوحى اليهم » اشارة باليد . وعن قتادة اومأ اليهم . وقال آخرون : معنى أوحى كتب . وقال آخرون معنى ذلك أمرهم ... الخ[١١] وكل ما قاله المفسرون حول لفظة الوحي له صلة بما ورد لهذه اللفظـة من معان .

وفى قوله تعالى : وأوحى الى النحل أن اتخذي من الجبـال بيوتـاً

---

(٦) سورة المائدة آية ١١١ .
(٧) سورة القصص : ٧ .
(٨) تفسير الطبري ١٢٨/٨ ، وتفسير الرازي ٣٤٣/٣ ، وتهذيب اللغة للازهري ٢٩٦/٥ .
(٩) سورة مريم : ١١ .
(١٠) معاني القرآن للفراء ١٦٣/٢ .
(١١) تفسير الطبري ٥٣/١٦-٥٤ .

ومن الشجر ومما يعرشون[١٢] . وهنا ترد لفظة الوحي لتعطي معنى الالقاء فى النفس باتفاق معظم المفسرين[١٣] .

واستعمل القرآن هذه اللفظة مع الملائكة[١٤] والشياطين[١٥] ، ولكنها فى معناها لا تخرج عن المعاني التي ذكرناها آنفاً . ولذلك سنتجاوز ذكر هذه الآيات مكتفين بالاشارة اليها ، لنأتي الى الآيات التي تخص وحي الانبياء .

ان الآيات التي تتعلق بوحي الانبياء كثيرة ، تناولت اسلوب الوحي والوسيط الذي كلف بنقل هذا الوحي الى من اصطفاه الله من عباده ، ومنها أيضا جاءت تأكيدا لقدرة الوسيط فى اداء مهمته ، وأمانته فى تبليغ هذا الوحي ، وضمان استيعابه من قبل الموحى اليه[١٧] .

وقد كشف لنا القرآن الكريم عن طبيعة هذا الاتصال بين الباري سبحانه وبين من اصطفاه من عباده ، فقال تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه عليّ حكيم »[١٧] وهذا النص القرآني يؤكد أن ليس من شأن أي انسان أن يكلمه الله فى هذه الحياة الدنيا إلاّ بأحد هذه الاساليب الثلاثة التي قررتها الآية الكريمة ، وهي اما ان يكلمه الله من وراء حجاب بحيث يسمع الموحى اليه الكلام دون أن يرى شيئاً . وهذا ما حصل لموسى عليه السلام حين كلمه ربه ، ولمّا طمع موسى برؤية ربّ العزة كما ورد

---

(١٢) سورة النحل : ٦٨ .
(١٣) معاني القرآن للفراء ١٠٩/٢ ، وتفسير الطبري ١٣٩/١٤ ، وتهذيب اللغة ٢٩٦/٥ .
(١٤) سورة الانفال : ١٢ .
(١٥) سورة الأنفال : ١٢١ .
(١٦) سورة النجم : ٥ و ٦ .
(١٧) الشورى : ٥١ .

في القرآن الكريم على لسان موسى قوله : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربّ أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين »[١٨] .

ولا نريد أن نخوض الآن في مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدونيا والتى تضمنتها الآية الكريمة لاننا آثرنا أن نفرد لها بحثا خاصا بها ، نتطرق فيه الى رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لربه ليلة عرج به الى السماء لان هذه المسألة كانت موضع نقاش طويل بين العلماء .

الوحي في اصطلاح العلماء

لقد تكلم العلماء كثيرا على الوحي ، فتناوله العلماء القدامى ، كما تناوله المحدثون ايضا ، واذا ما درسنا ما أوردوه من تعريفات للوحي لم نجدهم يخرجون عن مضمون الآية الكريمة الآنفة الذكر « وما كان لبشر أن يكلمه الله..الخ » وما ورد في المعاجم اللغوية من تفسير للفظة الوحي .

فيعرفه الطبري بقوله : هو ما يوحيه الرسول الى المرسل اليه ما يشاء ربه ان يوحيه من أمر ونهي وغير ذلك من الرسالة والوحي[١٩] .

ويعرفه الزمخشرى على انه كلام خفي في سرعة[٢٠] . وتعريف الزمخشري هذا تعريف لغوي لم يخرج عن مدلول لفظة الوحي اللغوى .

ومن العلماء والمحدثين الذين تكلموا عن الوحي الزرقاني في كتابه مناهل العرفان فيعرفه بقوله : الوحي هو أن يعلم الله تعالى من

---

(١٨) الاعراف : ١٤٣ .
(١٩) الطبري ج ٢٥ ص ٤٥ ط ـ البابي الحلبي ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
(٢٠) الكشاف ج ٢ ص ٣٠ .

اصطفاه من عباده كل ما اراد اطلاعه عليه من الوان الهداية والعلم ، بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر[٢١] .

ويعرف الامام محمد عبده الوحي تعريفا يكاد ينفرد به ، فيقول : : انه - أي الوحي - عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والاول بصوت يتمثل لسمعه أوأ بغير صوت، ويفرق بينه وبين الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من أين اتى ، وهو اشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور[٢٢] .

وتعريف الامام محمد عبده هذا للوحي لا يمكن التسليم به ما دمنا بصدد الحديث عن وحي الانبياء وذلك لان ايراده لفظة « الشخص » مطلقة . دون تخصيص أو تقييد تثبت الوحي لبني الانسان عامة ، وما دمنا بصدد الحديث عن وحي الانبياء فلا يسوغ لنا ان نقبل تعريف محمد عبده هذا .

انواع الوحي :

كل ما قيل عن انواع الوحي لا يكاد يخرج عما ورد في الآية الكريمة التي وضحت لنا صور الوحي الالهي للانبياء . فقال تعالى : « وما كان لبشر ان يكلمه الله الاّ وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء انه عليّ حكيم »[٢٣] .

فيكون الوحي على ثلاثة اصناف كما ورد في الآية الآنفة الذكر :

اولا : الوحي : وقد فسر الوحي هنا (النفث في القلب)[٢٤] وهو

---

(٢١) مناطق العرفان ج ١ ص ٥٦ .
(٢٢) رسالة التوحيد ، ضمن مجموعة رسائل ص ٨٣ .
(٢٣) سورة الشورة آية ٥١ .
(٢٤) أبو حيان الاندلسي : البحر المحيط ج ٧ ص ٥٢٦ .

ان يلقي الله تعالى في قلب من يريد ان يوحي اليه ما يشاء ان يوحيه فيستيقنه الموحي اليه ويعيه .

الثاني : الكلام : وهو أن يكلم الله سبحانه وتعالى من يوحى اليه ، بحيث يسمع الموحى اليه كلام الله تعالى دون ان يراه . كما حدث بالنسبة لموسى عليه السلام .

الثالث : ويكون بواسطة رسول من ملائكته يرسله الله الى من يريد ان يوحي اليه فيوحي ذلك الرسول ما يشاء الله ان يوحيه الى المرسل اليه(٢٥) .

وقد اجتمعت هذه الانواع الثلاثة من الوحي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . لانه في بدء الاسلام كان يرى من الرؤيا الصادقة كفلق الصبح(٢٦) .

وسمع كلام الله تعالى ليلة عرج به الى السماء . وكان يأتيه جبريل الى آخر عمره(٢٧) .

وقد كان وحي القرآن كله من النوع الثالث من انواع الوحي التي ذكرناها أى ان نزوله كان عن طريق جبريل عليه السلام ، كما نطق القرآن الكريم بذلك ، فقال تعالى : « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين »(٢٨) .

وفي هذه الآية الكريمة يصف الله تعالى جبريل عليه السلام بانه امين على ابلاغ هذا الوحي الى محمد صلى الله عليه وسلم قادر عليه . وقد

---

(٢٥) الطبري : التفسير ج ٢٥ ص ٢٨ .
(٢٦) النيسابوري ، تفسير غرائب القرآن ، هامش تفسير الطبري ٢٥/٤٨ ط . بولاق .
(٢٧) نفس المصدر .
(٢٨) سورة الشعراء آية ١٩٢-١٩٤ .

اثنى الله تعالى على جبريل في غير هذا الموضح من القرآن الكريم ايضا ، فقال تعالى (... انه لقول رسول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين)[٢٩] والمقصود بهذه الآيات هو حامل الوحي الرسول الامين جبريل عليه السلام[٣٠] .

وقد اطلق على ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم اسم الوحي في اكثر من موضع من القرآن الكريم . فقال تعالى : « والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى »[٣١] . وقال تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم »[٣٢] .

والقرآن حين يسمي هذا الضرب من الاعلام الخفي السريع وحيا تأتي هذه التسمية مطابقة لما تدل عليه لفظة الوحي من معان لغوية ، وقد بيناها في مطلع هذا المقال .

اول نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

يختلف العلماء في اول ما نزل من القرآن الكريم ، فمن قائل ان اول ما نزل هو الآيات : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »[٣٣] وهذه الآية يؤيدها البخارى[٣٤] ومسلم[٣٥] في صحيحيهما .

---

(٢٩) سورة التكوير آية : ١٩-٣١ .
(٣٠) تفسير الطبري ٣٠/٤٣ .
(٣١) سورة النجم : ١-٤ .
(٣٢) سورة يونس الآية : ١٥ .
(٣٣) سورة العلق الآية : ١-٥ .
(٣٤) العسقلاني . فتح الباري ١/١٩ .
(٣٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١/١٩٩ - ٢٠٠ .

وثمة رواية اخرى يذكرها مسلم ايضا في صحيحه[٣٦] ، تقول : ان اول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى : « يا ايها المدثر قم فانذر » غير انهم يخرجون هذه الرواية على ان اول ما نزل في حراء قوله : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » فلما رجع صلى الله عليه وسلم الى خديجة رضي الله عنها أنزل الله عليه في بيت خديجة قوله : « يا أيها المدثر » .

ورواية ثالثة تقول : ان اول ما نزل من الوحي هو سورة الفاتحة ، ويقول الباقلاني عن هذه الرواية (ان هذا الخبر منقطع) ثم يعقب بقوله : وأثبت الاقاويل ان اول ما نزل من الآيات « اقرأ باسم ربك » ويليه في القوة يا ايها المدثر »[٣٧] . وقد أيد السيوطي الباقلاني فيما ذهب اليه[٣٨] .

والراجح على ما يبدو ان اول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ... الخ الآيات ، وكان ذلك في حراء وقد أخذ بهذه الرواية النويرى وغيره ، والله تعالى اعلم[٣٩] .

محمد صلى الله عليه وسلم والوحي :

كان محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهو يرعى الغنم لاهل مكة ـ يتبصر في خلق السموات والارض فينظر الى السماء التي تظله بغير عمد ، ويجيل نظره في الارض الواسعة التي تحيطه بوديانها وجبالها ورمالها ، ثم يفكر بالليل والنهار وتعاقبهما ، والشمس والقمر والنجوم« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون[٤٠] . فيقع في خلده ان هذا الكون العجيب لابد له من مدبر

---

(٣٦) صحيح مسلم ١/٢٠٧ .
(٣٧) سورة الحشر ، الآية ١ـ٢ .
(٣٨) ينظر الاتفاق للسيوطي .
(٣٩) النويري ، نهايب الارب ١٦/١٦٩ .
(٤٠) سورة ياسين ، آية ٤٠ .

قد احكم نظامه . ثم ما لبث صلى الله عليه وسلم أن حبب اليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب اليه من ان يخلو الى نفسه ، فاختار حراء وهو جبل بمكة فكان يجاور فيه شهرا من كل سنة ، وكان ذلك الشهر هو شهر رمضان .

وفى هذا الشهر المبارك وفي حراء فاجأه الوحي . ففي احد الليالي جاءه جبريل عليه السلام ، وهو في كامل يقظته ، ووعيه ليبلغه رسالة السماء ، فقال له اقرأ ، قال : ما انا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني[٤١] حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما انا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني ، فقال : اقرأ . فقلت : ما انا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم »[٤٢] .

وفي رواية يذكرها ابن هشام في السيرة ، انه صلى الله عليه وسلم كان نائما حين جاءه جبريل بالوحي[٤٣] . غير ان رواية الصحيحين في هذا الباب تؤيد يقظة النبي ، وانه كان في كامل وعيه عندما نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي[٤٤] . وثمة نقطة اخرى تؤيد رواية الصحيحين هي ما اعتراه من رعب من جراء هذه الحالة التي لم يعهدها من قبل وقد لازمه الخوف حتى فى بيته فلو كان الامر قد وقع فى المنام لزال عنه ذلك الخوف بمجرد يقظته . ومن منا لا يرى ما يخيفه في منامه ، ولكن بعد الاستيقاظ يزول ذلك الخوف .

ويروى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى

---

(٤١) غطني : ضمني وعصرني (العسقلاني ، فتح الباري ١/١٩) .
(٤٢) سورة العلق ، آية : ١ـ٥ .
(٤٣) السيرة النبوية ١/٢٥٤ـ٢٥٥ .
(٤٤) صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، باب بدء الوحي .

الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي كرب وتربد[٤٥] له وجهه • وفي وجهه •

وفي رواية اخرى قال صلى الله عليه وسلم : فما من مرة يوحي اليّ الاّ وظننت ان نفسي تقبض •

وروى البخارى ومسلم عن عائشة ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرص ، وهذا اشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول • قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا •

واخرج احمد وعبيد بن حميد وابن جرير وابن نصر والحكم وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقة وضعت جرانها[٤٦] فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه ، وكان يوحي اليه ورأسه على فخذ زيد بن ثابت وكان يحس بثقله حتى كأن فخذه كادت ترض من شدة ثقل رأس رسول الله[٤٧] •

وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ما يلقى اليه من الوحي ، فكان يجهد نفسه ساعة تلقيه الوحي فيحاول اعادة ما يوحى اليه ليطمئن على وعيه وحفظه ، ولكن الله سبحانه وتعالى اللطيف بعباده قد اشفق على نبيه لما رأى منه ذلك فكفاه حفظه وطمأنه على استيعابه فنزلت

---

(٤٥) الربدة : غبرة مع سواد •

(٤٦) الجران : مقدم عنق الناقة من مذبحها الى نحرها •

(٤٧) عبدالقادر ملا حويش ، بيان المعاني ج ١ من القسم المكي ص : ٩٢-٩٣ •

الآية الكريمة لتنهاه عن اجهاد نفسه فى تلك اللحظات الحرجة وتخبره بان الله قد تولى عن رسوله ذلك ، فقال تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه »(٤٨) .

وكان الرسول في بدء الوحي يحاول استيعاب اكبر قدر ممكن منه ، وكأنه يطلب المزيد من الوحي فكان يستعجل جبريل عليه السلام حين كان يتلقى عنه فنزل قوله تعالى : « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما »(٤٩) .

واسلوب هذه الآيات وكثير من امثالها تكررت في القرآن الكريم(٥٠) يوضح الصلة بين ذات الرسول صلى الله عليه وسلم وظاهرة الوحي فيستدل منها ان الوحي خارج عن ارادة محمد صلى الله عليه وسلم وليس لشخصه أى تأثير أو تصرف في نزوله او عدم نزوله ، وقد صرّح القرآن بذلك فقال تعالى : « واذا تتلى عليه آياتنا بينات قال الذين لايرجعون لقاءنا أئتِ بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الاّ ما يوحى اليّ اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون(٥١) .

فالوحي شي الهي منوط امر نزوله بمشيئة البارى تبارك وتعالى ينزله بارادته ومقتضى حكمته ، قال تعالى : « وان من شيء الاّ عندنا خزائنه وما ننزله الاّ بقدر معلوم »(٥٢) . ومما يؤيد ذلك ايضا الآيات

---

(٤٨) سورة القيامة آية : ١٦ـ١٩ .
(٤٩) سورة طه آية : ١١٣ـ١١٤ .
(٥٠) سورة آل عمران آية : ١٥٤ ، النساء آية : ٦٣ ، ٥٠ .
(٥١) سورة يونس ، آية : ١٥ و ١٦ .
(٥٢) سورة الحجر ، آية : ٢١ .

التي نزلت لتصور الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه كأي انسان ضعيف لا يملك من امر نفسه شيئا ، فهو يتوسل الى الله تعالى يطلب منه الرحمة والعون والنصر ويستمد منه المعرفة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا »[٥٣] . وقوله تعالى : « وقل رب زدني علما »[٥٤] وقوله تعالى : « قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الاّ ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون »[٥٥] .

وبعد هذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يبادر الى الدعاء ، يتوسل الى الله ان يرحمه ويلهمه المعرفة وينصره على اعدائه ، وقد وردت عنه كثير من الادعية المأثورة فى هذا الخصوص . نذكر منها .

(اللهم اني اسألك رحمة تهدى بها قلبي وتجمع بها امرى وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدى وترد بها الفتي وتعصمني من كل سوء . اللهم اني اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء)[٥٦] .

متى كان ينزل الوحي ؟

لم يكن نزول الوحي فى مواعيد معينة كان ينظرها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليست له اوقات معلومة ، ولا اماكن محددة ، بل كان

---

(٥٣) سورة الكهف ، آية : ١١٠ .
(٥٤) سورة طه ، آية : ١١٤ .
(٥٥) سورة الاعراف ، آية : ١٨٨ .
(٥٦) القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٤٦/١ .

ينزل عليه الوحي في الليل حين يأوى الى فراشه ، وفي رابعة النهار ووقت الظهيرة ، واثناء السفر وفي الحضر[٥٧] .

كما لم يكن نزوله منتظما فقد يتتابع نزوله ، وقد ينقطع فترات تطول وتقصر . فيروى ان الوحي انقطع بعد نزول سورة المزمل ، وكان ذلك في اوائل نزول الوحي ، وقد دامت فترة انقطاعه ثلاث سنين أو ثلاثين شهرا على اختلاف في ذلك لم ينزل فيها على النبي شيء من القرآن ولم يتل على الناس غير السور الثلاث التي نزلت منذ بدء الوحي وهي : سورة العلق ، والقلم ، والمزمل . ثم نزلت بعد هذا الانقطاع سورة المدثر .

وقد ينقطع الوحي في ظروف يكون الرسول فيها احوج ما يكون الى الوحي من أى وقت آخر . وحديث الافك الذى رمى به المنافقون زوجه المصون أم المؤمنين السيدة عائشة ، وهي بنت الصديق أحب الناس وأقربهم اليه . وفى هذا الظرف الحرج حيث يبتلى فيه رسول الله ، ينقطع الوحي وتدوم فترة انقطاعه شهرا كاملا[٥٨] . والرسول يتحرق ألما لما يروجه المنافقون والذين في قلوبهم مرض من افتراءات باطلة حتى نزلت الآيات بتبرئتها ، فقال تعالى : « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منكم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين ، لولا جاءوا بأربعة شهداء فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب

---

(٥٧) السيوطي ، الاتقان ١/٢٢ وما بعدها .
(٥٨) النويري ، نهاية الالب ١٦/٤١٠ .

عظيم »[٥٩] فمال بال محمد صلى الله عليه وسلم لا يستعجل الوحي ـ لو كان ذلك بمقدوره ـ ليلجم أفواه المتقولين ويرد كيد الكائدين ، ولكن ليس لمحمد سلطان على أوامر السماء .

وكان بدء نزول الوحي سنة احدى عشرة وستمائة من السنين الميلادية ، وكان عمره الشريف قد بلغ آنذاك أربعين عاما باتفاق العلماء[٦٠] .

اما كون بدء الوحي كان في شهر رمضان فان هناك آيات كثيرة تؤيد ذلك ، كقوله تعالى : « انا انزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ... الخ السورة[٦١] » وقوله تعالى : « حٰم والكتاب المبين ، انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنّا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، امرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم »[٦٢] وقوله تعالى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزل على عبدنا يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير »[٦٣] . ويوم التقى الجمعان هو اليوم الذي التقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين في وقعة بدر وقد كان ذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان[٦٤] .

---

(٥٩) سورة النور ، آية : ١١ـ١٣ .

(٦٠) القسطلاني ، ارشاد الساري ٦/٢١٩ ، السيرة لابن هشام ١/٢٥٣ .

(٦١) سورة القدر .

(٦٢) سورة الدخان ، آية : ١ـ٦ .

(٦٣) سورة الانفال ، آية : ٤١ .

(٦٤) سيرة ابن هشام ١/٢٥٨ .

مصـادر البحث ومراجعه

١ ـ القرآن الكريم •

٢ ـ الاتقان فى علوم القرآن ، جلال‌الدين السيوطي • ط• مصر ١٣٧٠ •

٣ ـ ارشاد الساري الى شرح حديث البخاري • القسطلاني •

٤ ـ أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري •

٥ ـ البحر المحيط ، أبو حيان الاندلسي ط • السعادة بمصر ١٣٢٨ •

٦ ـ البرهان فى علوم القرآن • بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي ط • البابي الحلبي ١٣٧٧/١٩٥٧ •

٧ ـ بيان المعاني ، عبدالقادر ملا حويش • ط • مطبعة الترقي بدمشق •

٨ ـ تفسير غرائب القرآن ، النيسابوري هامش تفسير الطبري ط • بولاق •

١٠ـ جامع البيان عن تأويل القرآن • محمد بن جرير الطبري ط • مصر ١٩٢١ •

١١ـ رسالة التوحيد ، محمد عبده ط • مصر ١٣٥٧ •

١٢ـ السيرة النبوية ، ابن هشام بتحقيق محي‌الدين عبدالحميد •

١٣ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ابن الانباري ط • دار المعارف بمصر ١٩٦٣ •

١٤ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ط • مصر ١٣٢٩ •

١٥ـ صحيح البخاري ، ط • مصر ، بدون تاريخ •

١٦ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، ط • مصر ١٣٤٨/١٩٢٩ •

١٧ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري • العسقلاني ط • مصر ١٣٤٨ •

١٨ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاوقاويل • محمود بن عمر الزمخشري •

١٩ـ معاني القرآن • يحيى بن زكريا الفراء • ط • دار الكتب المصرية •

٢٠ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ، محمو فؤاد عبدالباقي •

٢١ـ معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس •

٢٢ـ مناهل العرفان ، الزرقاني • ط • مصر ١٣٧٢ •

٢٣ـ نهاية الارب ، النويري • ط • دار الكتب المصرية •